

العنوان:	أسلوب التعجب بين النظرية و التطبيق
المؤلف الرئيسي:	طه، أحمد محمد سليمان
مؤلفين آخرين:	عواد، محمد حسن(مشرف)
التاريخ الميلادي:	2010
موقع:	عمان
الصفحات:	1 - 76
رقم MD:	554788
نوع المحتوى:	رسائل جامعية
الدرجة العلمية:	رسالة ماجستير
الجامعة:	الجامعة الاردنية
الكلية:	كلية الدراسات العليا
الدولة:	الاردن
قواعد المعلومات:	Dissertations
مواضيع:	اللغة العربية ، النحو العربي، أسلوب التعجب، الدلالات اللغوية ، النحاة العرب
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/554788

ولعل ما قد توصل إليه من نتائج يحث بعض الباحثين في مجال اللغة على البحث في طبيعة هذه الظاهرة ، ويحاول بعض المختصين الكشف أن يجدوا التحليلات والعلل الكامنة وراء هذه النتائج مما يسهم في إعادة فهم النحو فهما جديدا ورسم ملامح صورة تكون أكثر دقة وتجسد فهما أكثر عمقا لطبيعة الظاهرة النحوية.

الفصل الثاني:

مناقشة لآراء و قضايا أثارها النحاة تتعلق التعجب:

تمهيد:

عندما قدمت مخطط الرسالة كنت أنوي أن أخصص هذا الفصل للحديث عن حجم الباب عند النحاة وحجمه في العينة المختارة للنصوص في الدواوين الشعرية، و أن أعقد مقارنة بين حجم الباب لدى النحاة ومقداره في الاستعمال الجاري. ولكنني رأيت بأن أبدل هذه الغاية إلى قضايا أخرى أكثر أهمية بدت لي في أثناء البحث وجدتها في كتب متفرقة ، وشعرت بأن من الواجب علي أن أقف عليها، وأن أتاولها تتاولا شموليا وأحلل النتائج التي يتم التوصل إليها لتحقيق الفائدة المرجوة من وراء هذا البحث .لذا فقد ضمنت الفصل الأول مقارنة بين حجم الباب عند النحاة وحجمه في عينة النصوص المختارة للدرس.

وقد اخترت مجموعة من الكتب التي اختصت بتناول باب التعجب أو أفردت جزءا من المؤلف للحديث عن التعجب ، وما جعلني أقف عند هذه الكتب أن بعض الآراء المثارة التي تبناها مؤلفو هذه الكتب في تفسير ظاهرة التعجب، وما صدر من أحكام لهؤلاء الكتاب كانت قد استحققت النظر فيها ومحاولة فهم تلك الآراء، فقد فسرت بعضا من جوانب هذا الباب وظواهره التي بدت غامضة في بعض الأحيان ومشكلة أحيانا أخرى، ووقفت على بعض الإشكالات المتعلقة بهذه الظاهرة وحاولت أن أنظر في تلك الأحكام والنتائج التي وردت في تلك الكتب ، وأبين ماجاء فيها لتتم الفائدة .

أما الطريقة التي اتبعتها فكانت تعتمد على الوقوف على الآراء التي جاء بها كل كاتب. فقد كنت أتناول كتابا معينا ، ثم أعرض ما جاء فيه من آراء معلقا عليها أحيانا و مثبتا لصحتها بحسب ما توصلت إليه من نتائج لعملية الاستقراء أحيانا أخرى ، وأحاول عند مناقشتي لبعض الأحكام أن أنظر إلى ماجاءت به هذه الكتب من نتائج و أحكام، و أن أورد التقارير التي تضمنتها تلك الكتب إلى أصلها. ويمكن القول: بأن ما جاء في هذا الفصل من آراء و ما تضمنه من أبواب هي محاولة للوقوف على بعض المظاهر المتعلقة بباب التعجب ومحاولة فهم لطبيعة هذه الظاهرة ومعرفة ماهيتها.

و أول هذه الكتب كان كتاب (التعجب صيغه و أبنيته)وهو من أوائل الكتب التي أفردت للحديث عن التعجب واختصت به ، وهو عبارة عن رسالة جامعية ألقت في عام ١٩٧٢ وقد سبق لي أن أشرت إليها آنفا، و من الآراء التي أثارها و يمكن الوقوف عليها ما يأتي:

ترتيب الجملة التعجبية:

لقد وافق الدكتور علوش النحاة رأيهم حول ترتيب الجملة التعجبية، فهو يرى ما يراه النحاة وهو أنه لا يجوز التصرف في ترتيب الجملة التعجبية، لا بحذف ولا بتقديم ولا تأخير إلا بالفصل بالجار والمجرور أو الظرف الذي أورده النحاة، لكنه وقف عليها محاولاً أن يجد التفسير الملائم لتلك الحقيقة.

فقد قدم تسويغاً لما ذكره النحاة من عدم جواز التصرف في ترتيب الجملة التعجبية معتمداً على الاحتكام للمنطق، وهو بذلك قد تجاوز النحاة للوقوف على ما وراء هذه القاعدة من أسباب، ورأى بأن الذي يجعل الجملة التعجبية موافقة لهذا الترتيب طبيعتها، فهي دفقة شعورية فياضة بالعواطف والأحاسيس التي يقذفها البحر من مكان إلى مكان تعلو وتتخفّض، وهي في علوها وانخفاضها إنما تجري ضمن خط مهيباً ومقدر لها. ويتوقف مسار ذاك الخط على قوة الزخم التي تدفع تلك الموجة وتوجهها^(١).

و أود أن أستعرض كلامه في تسويغه لضرورة الالتزام بذلك الترتيب ثم أعقب على ما ذكره عند قوله: "وما دام الأمر كذلك فلا بد أن يكون لتلك الدفقة الشعورية هواد وتوال وأن تجري على نسق تحدده قوة اندفاعها المنبثقة عن مدى قوة التعجب وحدته"^(٢).

وبناء على ما ذكرت فلا عجب أن يكون للجملة التعجبية ترتيب معين لا تخالفه ولا تخرج عنه. فهي محكومة بهذا الترتيب لعوامل الدفقة الشعورية ودوافعها ولقوة انطلاقها من الأعماق. فلا يجوز التصرف بالجملة التعجبية بتقديم أو تأخير ولا فصل إلا الفصل بين أفعال التعجب والمتعجب منه بالظرف أو المجرور بحرف الجر أو النداء^(٣).

١- التعجب صيغه وأبنيته (٣٦).

٢- المصدر السابق (٣٦).

٣- المصدر السابق (٣٧).

ثم بعد قوله هذا يسوق أمثلة للفصل بحرف الجر والظرف فيذكر ثلاثة أمثلة:

الفصل بالظرف: ما أجمل ليلة التم البدر.

الفصل بالجار والمجرور قول عمرو بن معد كرب: ما أحسن في الهيجاء لقاءها و أكرم

في اللزبات عطاءها.

الفصل بالنداء قول علي بن أبي طالب رضي الله عنه:- أعزز علي أبا اليقظان أن أراك صريعا.

ويمكن تلخيص فكرته بأن الذي يمنع التصرف في الجملة التعجبية كونها منبثقة عن النفس وصادرة عن المشاعر والغريزة الإنسانية ، فكل جملة تصدر عن العمل العقلي يجوز التصرف في ترتيبها بالتقديم والتأخير. وكل جملة تصدر عن الغريزة ينبغي أن تحافظ على ترتيبها وأن تكون على نسق واحد. وفي ذلك يقول: "ونفهم من هذا كله أن كل تركيب صادر عن النفس والغريزة يكون ثابتا جامدا وعلى نسق لا يختلف. وبعكس ذلك كل تركيب من عمل العقل فهو متغير مختلف تبعا لمقاصد العقل وأهدافه وخططه ومراميه"(١).

وأرى بأن ما قدمه الدكتور جميل علوش لم يكن منطقيا ، فليس واجبا أن يكون عدم جواز التصرف في الجملة التعجبية كونها إلى صادرة عن طبيعة النفس البشرية و الغريزة الإنسانية. ولو كان هذا الكلام صحيحا، لكانت كل العبارات التي تتعلق بالعواطف والمشاعر تسيير وفق نظام معين لا يجوز أن تخرج عنه ، ثم لو سلمنا جدلا بأن ما ذكره صحيح فلم لم يذكر لنا أمثلة على عبارات أخرى، وصيغ مغايرة لصيغ التعجب سارت على ضوء هذا الترتيب ولم يجز التصرف فيها بفصل أو تقديم أو تأخير.

ونحن هنا نثمن محاولته الوقوف على هذه المسألة، واجتهاده في تفسير سببها لكننا نحاول أن نحاكم تلك الآراء وننظر فيها ، لكن كلامه لم يكن صائبا لم يقدم لنا دليلا على صحة هذا القول ، ثم بعد ذلك كله يؤطر لقاعدة نحوية فيقول: بأن كل تركيب صادر عن النفس لا بد له من أن يلتزم بالعلاقات التركيبية ويلتزم بقواعد الترتيب. وكأن الدكتور علوش قد توصل إلى قاعدة صحيحة، ولكن ماذا لو نظرنا في جملة أخرى مثل الاستفهام وحاولنا أن نتبين العلاقة القائمة بين الكلمات في تركيب الجمل وهل يجوز التصرف في ترتيب الكلمات في جمل الاستفهام؟ فالجملة الاستفهامية لا بد أن تبدأ بأداة من أدوات الاستفهام يليها الاسم المستفهم عنه ثم تنمى الجملة ، فجملة الاستفهام تلتزم قواعد تركيبية معينة لا تخرج عنها ، وهي مع ذلك ليست صادرة عن النفس إنما هي جملة تصدر عن العقل وتلتزم بالقواعد التركيبية للجملة.

١- التعجب صيغه و أبنيته (ص ٤٨).

و خلاصة القول: لقد اجتهد الدكتور بإيجاد تفسير يتعلق بعدم جواز التصرف بترتيب جملة التعجب، وحاول أن يصل للأسباب التي تمنع التصرف في جملة التعجب ولكنه لم يقدم لنا تصورا كاملا ولم تكن الصورة واضحة لديه ، فيمكن أن تكون النتيجة التي توصل إليها صحيحة لكنه لم يوفق في التدليل على صحة القاعدة. ولكن الرأي الأقرب للصحة، هو خروجها في

ظروف معينة ، فجملة التعجب جملة سياق تصدر من المنكلم في ظروف خاصة؛ لذا تلتزم قواعد قواعد تركيبية معينة و بذلك لا يجوز للجملة التعجبية أن تخرج عنه.

(٢) الخلافات النحوية بين العلماء حول التعجب:

كان الدكتور قد أفرد جزءا من الفصل الأول للحديث عن بعض الخلافات النحوية حول صيغ التعجب ، وأشار إلى أنه من الواجب علينا أن ندرس التعجب دراسة خاصة تختلف عن دراستنا لباقي أبواب النحو، وعلينا أن نعيد النظر في جميع المواقف والنظرات السابقة.

وأورد كلام طائفة من الباحثين واللغويين الذين أشاروا إلى استقلالية صيغ التعجب وتميزها عن غيرها من الصيغ ونبهوا إلى ضرورة معالجتها معالجة مستقلة دون الاضطرار إلى إلحاقها بغيرها وقياسها إلى سواها. و قد جاء ما استعرضه من كلام للغويين كالآتي:

١- قال محققا كتاب رسائل في النحو واللغة :لايزال فعلا التعجب عويصي الإعراب. وليس إعراب النحويين لهما ولما يصحبهما بواضح البتة.

٢- قال نديم دمشقية :ولقد ترى معنا أنه لم يكن من داع لتلك الأقيسة ، وأن الخطب كان أهون و أيسر لو اعتبرت صيغة التعجب قائمة بذاتها ، ونظر إليها على أنها تنتسب إلى دائرة اللغة الانفعالية ولا تمت هي ولا أختها ((ما أفعله)) إلى الصيغ بصلة.

٣- قال محمد منجي الصيادي: والعبارات الدالة على التعجب تتدرج ضمن لغة الوجدان التي يعبر بها المتكلم عن أحاسيسه ، وهي لا تخضع لقواعد الإعراب كأفعال التعجب، كما أنها لا تخضع للتعدي بل ينبغي مقارنتها بأفعال التفضيل، ولا سيما أن جملة التعجب تستخدم وزن ((أفعل به)) و ((ما أفعله)) وهما الأوزان التي لا تنضم إلى الأفعال أو الصفات (١).

و يظهر لنا مما سبق أن موضوع التعجب شديد التعقيد، وهو على درجة عالية من الوعورة والتشابك فلا يمكن للباحث أن يأمن الانزلاق والتعثر فيه، ولذلك كان التعجب مجالا لخلاف عميق بين النحاة.

١- التعجب صيغه و أبنيته (ص٤٢-٥٧).

وقد وقف على الخلافات بين النحاة في تفسير بعض الظواهر المتعلقة بهذا الباب ، كالخلاف بين النحاة حول إعراب جملة التعجب، والخلاف في تفسير ((أفعل به)) أهو فعل أمر، أم ماض جاء على صيغة الأمر إلى ذلك من الخلافات التي ذكرها بين النحاة، حتى أنه لم يغفل الخلاف بين أصحاب المدرسة الواحدة كالخلاف في تفسير ما هي نكرة تامة أم اسم موصول،

وغيرها من الخلافات التي تتعلق بجملة التعجب و حاول أن يكشف اللجام عنها ، ويفسر بعضا من جوانبها،

فتوصل إلى مجموعة من الحقائق التي تتعلق بطبيعة هذه الظاهرة فكانت النتائج كما يأتي :

١- أن رأي سيبويه بأن (ما) التعجبية نكرة تامة في محل رفع مبتدأ هو أقرب الآراء إلى الصحة والصواب. وهو أكثرها قبولا في الماضي و أوسعها سيرورة في الحاضر بل هو الرأي الذي يكاد ينعقد عليه إجماع النحاة.

٢- أن رأي البصريين ومعهم الكسائي الكوفي القائل بفعلية ((أفعل)) هو الرأي الأقرب إلى الصحة والصواب. وهو الرأي الذي يكاد ينعقد عليه إجماع النحاة وحجج البصريين فيه معقولة مقبولة. ولكنها ليست نهائية ولا حاسمة.

٣- أن قول البصريين بأن ((أفعل)) ماض جاء على صورة الأمر و أن الباء حرف جر زائد و أن المتعجب منه مجرور لفظا مرفوع محلا على أنه فاعل، هو أقل الآراء نصيبا من الصحة وأبعدها عن المنطق على الرغم من أنه أكثرها سيرورة بين متأخري النحاة.

وتبدو النتائج مألوفة وطبيعية، و نحن نسلم له بما ذكره في الحقائق الثلاث، فهو في أول حقيقتين كان قد وافق النحاة أو قسما منهم، فأيد ما ذكره بعضهم حول تفسير (ما) التعجبية وفعلية أفعل التعجب ووقف إلى جانب رأي من الآراء، ولا أظن أحدا سيعترض على تأييده لتلك الحقيقتين، لكن قد تبدو المعارضة للنقطة الثالثة وتتمثل في عدم قناعته بحقيقة ما ذكره النحاة بأن أفعل في صيغة (أفعل ب) إنما هو فعل ماض جاء على صورة الأمر و أن الباء حرف جر زائد. لكنني أرى بأن ما قدمه من حجج للتدليل على ذلك جاء منطقيا، فعند تفسيره لهذه الصيغة لفت انتباهنا إلى ثلاثة أمور في غاية الأهمية و هي :

(أ) أن الماضي لا يجيء على صورة الأمر.

(ب) و أن حرف الجر الزائد لا تكون زيادته لازمة.

(ج) والمجرور بحرف الجر لا يكون فاعلا.

وهذه النقاط التي ذكرها الدكتور علوش تكاد تكون من المسلمات عند المشتغلين بالعربية، فلم يحصل في تاريخ العربية أن استعمل الأمر بمعنى الماضي ولم ن المسلمات جد أفعالا صيغت بلفظ الأمر دلت على الماضي بل المشهود خلاف ذلك، أما أن يدل الأمر على الماضي فهذا غير مستعمل ولم يرد عن العرب أن استخدموا ذلك.

ثم إن القول بأن حرف الجر زائد نقضه الدكتور بما يأتي:

١- أن حرف الجر الزائد لا يمكن أن يكون لازما في الجملة. فالزيادة والازم معنيان متناقضان.

وهذا كلام في غاية الدقة إذ كيف يكون حرف الجر زائدا ولازما تحتاجه الجملة للدلالة على التعجب؟ ويكون ركنا أساسيا في تركيب الجملة التعجبية، فهو تناقض لم يستطع النحاة أن يفسروا ذلك تفسيراً منطقياً وإلا كيف يكون زائدا ولا يمكن الاستغناء عنه؟ ولم يكتف الدكتور بذلك بل ذكر تعريف حرف الجر الوارد في كتاب جامع الدروس العربية فقال "فقد عرف المؤلف حرف الجر الأصلي بما يأتي: وهو ما يحتاج إلى متعلق وهو ما لا يستغنى عنه لا معنى ولا إعراباً نحو: كتبت بالقلم. وعرف حرف الجر الزائد بما يأتي: ما يستغنى عنه إعراباً ولا يحتاج إلى متعلق نحو: ما جاءنا من أحد" (١).

٢- أن حرف الجر الزائد تكون زيادته بعد نفي أو استفهام أو نهي، وما جاء بخلاف ذلك فقد تأوله النحاة، ولم يستطيعوا تأويله فقد حصروه في مواضع محدودة لا يقاس عليها.

١- التعجب صيغه و أبنيته (ص ٥٧).

"إن جمهوراً كبيراً من النحاة كالزجاج والفراء والزمخشري وابن كيسان وابن خروف اعتبروه حرفاً أصلياً للتعجبية. فقد قرن بين اللام في قولهم: كرماً وصلفاً لك التي تقع بدلاً من قولهم: أكرم و أصلف بك والباء في مرحباً بك، كلاهما استعملتا للتبيين" (١).

و يمكن القول بأن الاستنتاج الذي خلص إليه الدكتور جميل علوش هو الرأي الأقرب للصحة والصواب ،فالباء في هذه الصياغة حرف أصيل استعمل للتبيين كالباء في مرحبا بك.

محاولته تفسير أفعال التعجب:

أما ثالث القضايا التي عالجها ، فهي طبيعة أفعال التعجب فقد حاول أن يصف أفعال التعجب ويبين أصلها فوقف على الخلاف الذي دار بين البصريين والكوفيين أهى اسم أم فعل فرجح رأي الكوفيين القائل باسمية هذه الصيغة ورد ذلك إلى الأسباب الآتية:

١- أن أفعال التعجب هو الفعل الوحيد الذي يكون فاعله مستترا وجوبا على خلاف الأصل. وليس له شبه إلا بعض أفعال الاستثناء مثل عدا وخلا وحاشا، حيثما يكون منصوبا على رأي بعض النحاة.

٢٢- إن صيغة (أفعال) التعجب تختلف عن أفعال (أفعال) الفعل الماضي الحقيقي من حيث المعنى. فأفعال التعجب لا تفيد إلا التعجب والاستعظام بمساعدة (ما) التعجبية بخلاف أفعال الفعل الماضي فهو يفيد عدة معان منها التعدية والمبالغة وإصابة الشيء.

ويمضي الدكتور علوش في استدلالاته ليصل إلى حقيقة مفادها أن أفعال التعجب ليس لها علاقة بصيغة الفعل الماضي فكل من هاتين الصيغتين دلالة خاصة وسمات تتميز بهما. و أن النحاة إنما بنوا أحكامهم على الظن و التخمين، وقد ظهر ذلك جليا في الأمثلة التي وضعوها وفي ذلك يقول: (و كل ما زعموه بهذا الخصوص فهو من قبيل الحدس والتخمين، والتكلف ظاهر على الأمثلة التي استعانوا بها. و إلا فمتى كانت ((أحسن)) صار ذا حسن و ((أقبح)) صار ذا قبح) (١).

١- شرح التصريح ج ٢ (ص ٨٨)، وأسرار العربية (ص ١٢٤) وقد أشرت هنا إلى أصل هذا الكلام لعل القارئ يريد أن يستزيد في فهم بشكل أوضح.

٢- التعجب صيغه وأبنيته (٤٣-٤٦) بتصرف.

قياسية النداء التعجبي:

و يرى بأن صيغة النداء التعجبي المقترنة باللام قياسية، ورد ذلك إلى كثرة استخدامها في الشعر، وأحب هنا أن أذكر كلامه ثم سأعقب عليه بحسب نتائج الإحصاء التي تحصلت عليها عند استقراي لشواهد التعجب:

ونحن هنا إنما نشدد على الصيغة المقرونة باللام المفتوحة. أما الصيغتان الأخريان و هما المنتهية بألف زائدة والصيغة المجردة أو صيغة النداء العادية فهما قليلتان بل نادرتان. و بوسعنا أن نستعين بهذه الصيغة للتعجب من كل اسم في الوجود نلمح من الغرابة أو من مخالفة العادة أو من تجاوز ما هو معهود فيه أو التفوق على ما هو معروف عنه ما يبهز ويهول.

ولقد استعمل العرب هذه الصيغة بكثرة في شعرهم من امرئ القيس القائل:
فيا لك من ليل كأن نجومه بكل مغار الفتل شدت يبذل

إلى أحمد شوقي القائل:

فيا لك هرة أكلت بنيتها وما ولدوا وتنتظر الجنينا

ولا أريد أن استرسل في الاستشهاد. فهذه الصيغة موجودة بكثرة في الشعر والنثر. وهي جارية على السنة الشعراء والكتاب في الحوار الذي يدور بين شخصيات المسرحية . وقد يستفاد منها بالإضافة إلى التعجب التحبيب والتلمح.

وسأقف على آخر كلامه وخاصة عبارته ((فهذه الصيغة موجودة بكثرة في الشعر والنثر)) فقد أظهرت نتائج الفرز في عينة النصوص التي قمت باستقراء شواهدا أن التعجب باستخدام هذه الصيغة تكرر كثيرا، والشاهد هنا أن الدكتور علوش قد التفت إلى مسألة مهمة وهي أنه عند النظر إلى الشواهد على اعتبار الكم فيمكن لنا أن نعد الصيغة قياسية فليس المهم اتخاذ قوالب جاهزة للحديث عن قياسية تلك العبارة أو غيرها بل المهم هو مدى ما تحقق من استخدام لتلك العبارات و ما تحقق في الاستعمال.

أخيرا فقد ذكر الدكتور علوش في كتابه التعجب صيغه و أبنيته مجموعة من الآراء وأثار جملة من القضايا المتعلقة بالتعجب، و قد أحببت أن استعرض بعضا منها التي أظنها ستفيد في دراسة باب التعجب وكل ذلك من أجل رسم صورة أكثر وضوحا و ترسيخ فهم أكثر عمقا حول طبيعة هذه الظاهرة، لتتم الفائدة المرجوة وتحقق الغاية المنشودة من وراء هذا البحث، و أود أن أنبه مرة أخرى إلى أنني قد اقتصر على بعض الآراء وتصرفت في عرضها؛فكنت أحيانا

أختزل الفكرة دون أن أخل بالمضمون ،ذلك لأن ما يهم هو الوقوف على الأفكار والآراء المطروحة ومحاولة فهمها تفسيرها تفسيراً عقلياً يحظى بالثقة و بالقبول.

الكتاب الثاني:

والكتاب الثاني كتاب الدكتور عبدالفتاح الحموز أساليب المدح والذم المحورية، تناول هذا الكتاب الأساليب الثلاثة وتحدث عما أسماه المؤلف بالكلمة المحور وعلاقتها بالأساليب الثلاثة، وتعد هذه الكلمة أهم كلمة في التركيب اللغوي وسماها المحور لأن باقي الكلمات الداخلة في التركيب تتضام فيما بينها لتسهم في تعزيز دور الكلمة مدحا أو ذما أو تعجبا.

وقد وقف الدكتور على المحور فبين الفرق بين الكلمة المحور والمحور في النحو الوظيفي فقال : "ولست أنكر أيضا أن المحور في النحو الوظيفي وظيفة تداولية تسند- في الغالب- إلى الفاعل، كما قيل، و أن البؤرة فيه بأنواعها (المقابلة ، والجديد ،والكلمة المفردة ،والجملة هي التي تتبئ عن معلومة أكثر من تلك التي تتبئ عنها الكلمات الأخر في التركيب نفسه ، على أن الكلمة المحور هي الكلمة التي تتبئ عن الدلالة"(١).

وخص الحديث عن الكلمة المحور في أسلوب المدح والذم والتعجب. ونحن هنا سنتحدث عن الكلمة المحور الخاصة بأسلوب التعجب و نحاول أن نتبين أبرز ما جاء به المؤلف في الحديث عن الكلمة المحور في الجملة التعجبية.

١-أساليب المدح والذم والتعجب المحورية(ص ٨١-٨٢).

و من أبرز القضايا التي تناولها الكتاب:

(أ) صيغة ما أفعل والكلمة المحور:

يرى الدكتور عبدالفتاح أن الكلمة المحور في صيغة ما أفعل هي المفعول به (المتعجب منه) وأن باقي الكلمات تتضام لتحقيق المحورية وتعزيزها، وذلك راجع إلى الخصائص التي لا تتوافر في المفاعيل الأخرى في غير هذا الأسلوب وهي:

١- أنه أعرب مفعولا به؛ لأن المفعول به يختص بأخف الحركات؛ لأنه المحور - ثقلا، ولذلك صير إلى تخفيفه في النطق لشيوع هذا الأسلوب في الكلام العربي أو كثرته.

٢- أن أصل هذا المفعول به (المتعجب منه) عند البصريين فاعل على حسب المعنى لأن فعل التعجب (أفعل) منقول من (فعل)، كما في حسن زيد وفعل منقول من الفعل الثلاثي المضموم العين أو المكسورها أو المفتوحة، وهي مسألة تعزز محوريته من حيث إن له أصلا وفرعا.

٣- أن مفعولي ظن وكسا يحذفان في هذا الأسلوب الذي يصير فاعلهما مفعولا به، كما في ما أكسى زيدا، و ما أعطى عمرا، وقد يستغنى بجراحد مفعولي (أكسى) باللام عن الآخر، كما في ما أكساه لعمره.

٤- أن ما يتعلق بفعل التعجب في هذا الأسلوب يكون فاعلا في المعنى، كما في ما أحب زيدا إلى عمرو، وما أبغض زيدا إلى بكر، على أن المجرور بحرف الجر هو الفاعل في المعنى^(١).

وختم كلامه بالقول: "ويتبدى لي أن كون المتعجب منه مفعولا به في اللفظ، وفاعلا في المعنى ينبئ عن محوريته"^(٢).

١- أساليب المدح والذم والتعجب المحورية (ص ١٠٢) .

٢- المصدر السابق (ص ١٠٣) .

(ب) صيغة أفعل به والكلمة المحورية:

ويرى الدكتور أيضا بأن الكلمة المحورية في هذه الصيغة هي المتعجب منه، وقد برزت هذه الأهمية من خلال ما يمكن أن يختص به كل عنصر من عناصره، ويختص المتعجب منه بخصائص تعزز محوريته وهي:

- ١- "جره بالباء الزائدة وجوبا- فاعل لفعل التعجب- وعلى أن الهمزة في فعله للتصيير.
- ٢- أن يكون معرفة أو قريبا إليها.
- ٣- أن لا يفصل بينه وبين فعل التعجب بشيء في الغالب، كما مر في (ما أفعل).
- ٤- أن في حذفه خلافا بين النحاة.
- ٥- أن هذا الحذف لايجوز؛ لأنه المحور فاعلا كان أو مفعولا.
- ٦- أن يحذف مع الجار، كما في قوله تعالى(بج بح بخ).
- ٧- أن يحذف الجار ، ويستتر، على أنه فاعل ، وقيل إن هذا القول يردده عدم بروزه في التنثية، والجمع، تذكيرا، وتأنيثا^(١)

كل هذه السمات تجعل المتعجب منه الكلمة المحور في هذه الصيغة، ولقد اتسم المتعجب منه بسمات تؤهله ليكون المحور في التركيب اللغوي، والمكون الرئيس للجملة فهو بؤرة المركز والمحور الأساسي للدلالة.

(ج) الاستغاثة والكلمة المحور:

وقد عد الدكتور الحموز المستغاث به في هذا الأسلوب الكلمة المحور والعناصر الأخرى تتضام لتعزيز هذه المحورية، ويرى بأن ما يعزز هذه المحورية تلك الخصائص التي يختص بها هذا المحور، وهي :

- أن له في الكلام العربي ثلاث حالات كالمستغاث به : وهي:
- (أ) أن يسبق- في الغالب- بلام زائدة، أو أصلية مفتوحة، وهي لام تسهم في تعزيز محوريته من حيث كونها زائدة، ومفتوحة في غير مواضع الفتح.

١- أساليب المدح والذم و التعجب المحورية(ص١٠٣).

(ب) أن تلحقه الألف التي تعاقب اللام، على أنها عوض منها كالاسم المندوب، كما في قوله تعالى : (يأسفا على يوسف).

(ج) أن يخلو من اللام الخافضة، والألف التي تلحق آخره، فيأخذ المستغاث به حكم المنادى، كما في : يا قوم، ويا قومي، فالأولى منادى مبني لأنه نكرة، والثانية منادى منصوب لأنها مضافة. و بعد أن عرضنا كلام الدكتور في الأساليب الثلاثة سنحاول أن نقف على الميزة المشتركة بين الكلمات المحورية الثلاث في الأساليب اللغوية الثلاثة، ولعل المتأمل في كلام الدكتور يلحظ بأنه جعل الاسم محورا في تلك الأساليب ولعل ذلك يقودنا إلى الإسناد، فالمسند إليه هو الذي يشكل القيمة العليا في التركيب اللغوي وهو المحور الذي تتألف العناصر لإبرازه وبناء على ماسبق يمكن لنا أن نقعد لقاعدة وهو أن الكلمة المحور دائما ما تكون هي المسند إليه و أن المسند إنما هو عبارة عن كلمة أو مجموعة من الكلمات تأتي لإبراز أهمية المسند إليه أو الكلمة المحور.

الدراسات اللغوية الحديثة وأسلوبا التعجب القياسيان:

تحدث الدكتور الحموز عن العلاقة بين أسلوبي التعجب والدراسات اللغوية الحديثة، وخاصة المدرسة التوليدية التحويلية و قد عرض جملة من الآراء يمكن حصرها بثلاث مسائل رئيسة :
١- إهمال بعض التوليديين التحويليين لهاتين الصيغتين، فقد رأى بأن بعض علماء اللغة التوليديين قد يتناولوا هاتين الصيغتين كما تناولوا غيرها من الصيغ ، واستشهد بمؤلف الدكتور خليل عمايرة إذ رأى بأنه لم يتعرض لذكر التعجب إلا في موضعين و في ذلك يقول : " إذ لم يرد ذكره عند الدكتور خليل عمايرة في كتابه دراسات و آراء في ضوء علم اللغة المعاصر في نحو اللغة، وتراكيبها، منهج، وتطبيق إلا في موضعين الأول في أثناء الحديث عن المواضع التي لا يحذف فيها المفعول عند النحاة القدامى، وإذا حذف عامله"^(١).

و أود هنا أن أقف على ما ذكره كل من الدكتور جميل علوش والدكتور خليل عمايرة، إذ كنت قد وقفت عند ما ذكره الدكتور جميل علوش حول تقصير النحاة في تفسير بعض الظواهر المتعلقة بصيغ التعجب وعباراته، والآن نرى بأن الدكتور الحموز يتحدث عن تقصير بعض التحويليين في الحديث عن صيغتي التعجب القياسيتين، والسؤال المطروح هو هذا التقصير عائد إلى قصور العلماء القدامى والتوليديين في فهم طبيعة ظاهرة التعجب أم أن هذا عائد إلى طبيعة التعجب.

١- انزياح الحركة الإعرابية في بعض الأساليب النحوية، مجلة دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية/المجلد ٣١، العدد ٤، ٢٠٠٤م: ٤٣٩.

و إلى التشابك الشديد بين عناصر التعجب و إلى طبيعة الظاهرة نفسها؟ فهل يمكن أن علماء العربية وعلماء اللغة قد أهملوا تلك الصيغ أو تناسوها أم أن التعجب موضوع شديد التعقيد؟.

وينكشف لنا عند النظرة المتأنية والوقفة الجدية بأن موضوع التعجب وما يتعلق به من ظواهر موضوع شديد التعقيد يحتاج لأن يدرس من جديد و إلى أن يعاد النظر في النتائج التي تتعلق بتفسير ظواهره ،فمازالت القواعد المتعلقة به مجال خلاف واسع و مازلنا عند دراستنا له نبني نتائجه على أعمال الحدس والتخمين وحقيقة الأمر أن ما توصلنا إليه من حقائق يبقى في مجال الظن وينبغي علينا نراجع مراجعة علمية بعيدا عن التعنت و التزمت لآراء هذ العالم أو ذاك لنصل إلى فهمه فهما عميقا ونعرف طبيعته وخفاياه بشكل أكثر عمقا.

٢-وثاني هذه الآراء عندما ذكر أن أصل جملة التعجب جملة اسمية عند التحويليين لاشتمالها على نسبة الصفة المتعجب منها إلى صاحبها. فهذه الجملة التوليدية في مثل: ما أجمل السماء - هي السماء جميلة، على أن (السماء) مبتدأ خبره (جميلة) و أن هذا الأصل التوليدي خضع لسلطان عناصر توليدية يقتضيها التركيب اللغوي معنى، وقد آثرت أن أعرض كل ما ذكره في هذه المسألة ليفهم المراد بشكل أوضح، وقد رد ذلك إلى خمس نقاط رئيسة هي:

- (١) عنصر التقديم و التأخير، وهي مسألة تكمن في تقديم الخبر على المبتدأ لتوكيده، والتنشئة على أهميته، وجذب الانتباه إليه : جميلة السماء.
- (٢) زيادة عنصر للإنباء عن تأثر المتكلم، وانفعاله تعجبا من جمال السماء، وهذا العنصر هو (ما) التعجبية :ما جميلة السماء.
- (٣) استبدال بنية صرفية ببنية الخبر في الأصل التوليدي لتحقيق أمن اللبس بين الجملة التعجبية، والجملة المنفية؛ لأن كليهما مصدرة بعنصر الزيادة(ما): ما أجمل السماء.
- (٤) استبدال الفتحة بالضمة حركة الخبر الإعرابية، والقول نفسه في المبتدأ الذي استبدلت الفتحة بحركته الإعرابية، وهي الضمة لتحقيق أمن اللبس بين المبتدأ والفاعل، لأن كليهما مرفوع، و أن (أجمل) بناؤه كبناء الفعل(أفعل) الذي يرفع فاعلا، على أن هذا الاستبدال الصوتي في هذه المسألة يعد من خصائص هذا الأسلوب التي تميزه عن غيره.

(٥) زيادة عنصر التنغيم لتحقيق أمن اللبس بين هذه الجملة التعجبية وتلك المنفية المحذوفة
الفاعل : ما أجمل السماء، كما في المذهب البصري، وهذا التنغيم يكمن في مد عنصر التحويل
(ما)، وهو تنغيم يحقق أمن اللبس أيضا بين هذه الجملة التعجبية والجملة الاستفهامية، لأنه في
هذه الجملة الأخيرة في الضمة حركة الخبر (أجمل)، إذ يتبدى متصاعدا من اللام إلى
المبتدأ (السماء).

وبعد أن انتهى من عرض النقاط وبيان اسمية جملة التعجب، ذكر لنا حكمها الإعرابي
فقال : " وحملا على ما مر فإن إعراب (أجمل) في هذا الأسلوب خبر المبتدأ (السماء)، على أن
الفتحة على آخريهما حركة اقتضاء، وأن ما زيد على هذا الأصل التوليدي لا يعتد به في
الإعراب، إذ لا يؤثر في إعراب ما بعده" (١).

و قد رأى الدكتور الحموز بأنه من الأولى ألا يصار إلى إعراب كل عنصر من عناصر
هذين الأسلوبين؛ وقد علل ذلك بأن في هذا الإعراب إفسادا للمعنى الذي يمكن أن ينبئ عنه كل
أسلوب، وحملا للكلام على غير ظاهره، وهو حمل لا بد أن يتخلله التوهم والتخيل اللذان
يسهمان في نفور الطلبة من النحو العربي.

أما ثالث الآراء فهو حديثه عن الإشكالات في بناء (أفعل)، فأفعل في هذا الأسلوب يختلف
عن الفعل الماضي من باب أفعل، لأنه في هذا الأسلوب ينبئ عن التعجب، وفي غيره تبيئ
الهمزة فيه عن دلالات، كالتعديّة، والدخول في الشيء، والمبالغة، والإصابة والسلب الإزالة، وغير
ذلك على أن الهمزة فيه ليست للتعديّة؛ لأنها تختلف عنها في الأفعال الماضية المزيدة بها،
والقول نفسه في بناء (أفعل ب) من حيث إنه لا علاقة له بالفعل الماضي، فليس منقولا من فعل
ماض من باب (أفعل)، على أن الهمزة فيه للصيرورة، والمراد من قولك: أحسن بمحمد عندهم
هو: صارذا حسن.

وقد ذكر الدكتور الحموز جملة من الآراء المتعلقة بأفعل التعجب، فذكر رأي الدكتور
علوش "بأنه من أسماء الأفعال، والأصوات، وأن الضمير المستتر لا وجود له، لأنه من باب
التوهم الذي ابتدعه خيال النحاة، ورأي الدكتور مهدي المخزومي الموافق للبصريين من حيث
إن بناء (أفعل) بناء الأفعال جمد في هذا الأسلوب، وفقد دلالاته الفعلية" (٢).

١- أساليب المدح والذم والتعجب المحورية (ص ١١٧) .

٢- المصدر السابق (ص ١١٩).

ويبدو جليا عند استعراض هذا الرأي أن الإشكالات حول فهم طبيعة أفعال التعجب مازالت قائمة، وأن من الصعب الأخذ بقول من تلك الأقوال؛ لأن كل رأي فيه شيء من الصحة ودعم ببعض الأدلة المنطقية. و أرى بأن أقرب الآراء إلى الصحة رأي البصريين القائل: بأن أفعال التعجب فعل ماض مبني لإنشاء التعجب، وأن ما قبله من علامات للاسم كالتصغير و غيرها من العلامات، لا تخرجه عن أصله الفعلي.

ختاما أرى بأن صيغتي التعجب صيغتان شديدتا التعقيد، وأن علماء اللغة سواء القدامى أو المعاصرون قد اجتهدوا في تفسير قضاياه -فأحيانا وفقوا وأحيانا لم يقدموا تفسيراً واضحاً - وبذلك يظل التعجب متاحاً لأن يدرس دراسة جديدة تقف على مسائله الكبيرة والصغيرة ولا تهمل جزئياته وينبغي أن يدرس التعجب على ثلاثة مستويات المستوى الصرفي والنحوي والدلالي لعل ذلك يسهم في رسم مفهوم أوضح وأكثر عمقا في تفسير ظاهرة التعجب.

النتائج الخاصة :

و قد توصلت إلى جملة من النتائج وهي:

- ١- يجب مراعاة الترتيب في جملة التعجب، وهذا الترتيب يعود إلى قياسية صيغة التعجب، وليس كما زعم الدكتور علوش بأن ذلك يرجع لصدورها عن المشاعر والأحاسيس.
- ٢- أن معظم التفسيرات التي قدمها اللغويون في الحديث عن التعجب يغلب عليها الظن والتخمين، و علينا إعادة النظر في هذا الباب لتقديم رؤية أشمل حول باب التعجب.
- ٣- نظر علماء اللغة المعاصرون وخاصة التوليديين إلى التعجب من زوايا مختلفة، فمنهم من وقف على (أفعل التعجب) ورأى بأنها اسم، ومنهم من تحدث عن أصل الجملة التعجبية.
- ٤- إذا كان النحاة القدامى قد قصروا في الحديث عن صيغ التعجب السماعية، فإن علماء بعض اللغة المعاصرين أهملوا الحديث عن الصيغ القياسية ولم يولوها اهتمامهم.
- ٥- الاختلاف القائم بين النحاة القدامى واللغويين المعاصرين حول تفسير بعض قضايا التعجب وظواهره اختلاف من زاوية النظر؛ فكل فريق ينظر للتعجب من وجهة نظر مختلفة، لذلك كان الاختلاف في تفسير بعض ظواهره.

الفصل الثالث :